

المرأة في الأمم المتمدنة



كان وضع المرأة قبل الإسلام لا يعدو كونها سلعة، وتنتفق في هذه الحال الأمم المتمدنة وغير المتمدنة، مع فارق نسيبي لا يغير من جوهر الأمر شيئاً^١. فقد كانت حياة النساء في الأمم والقبائل الوحشية بالنسبة إلى حياة الرجال، كحياة الحيوانات الأهلية من الأنعام وغيرها بالنسبة إلى حياة الإنسان... فليس للمرأة من حقوق الحياة إِلَّا ما رأاه الرجل المالك لها.. كذلك كانت حياة الإنسان عند الرجال في هذه الأمم والقبائل حياة تبعية، وكانت النساء عندهم مخلوقات (لأجل الرجل). وكان الرجل يبتاع المرأة من يشاء وله أن يهبهها لغيره، وكان له أن يفرضها لمن يستقرضها وكان له أن يقتلها، ويرتزق بلحماها كالبهيمة، وخاصم^٢ أيام المجاعة أو في الماء.

أما بالنسبة للأمم المتمدنة، فقد كانت المرأة عندهم تفتقد الاستقلال والحرية، سواء في أرادتها أو في أعمالها، وكانت تحت الولاية والقيمة، ولا تنجز شيئاً بنفسها، ولم يكن لها الحق^٣ في الشؤون الاجتماعية، من حكومة، أو قضاء، أو غيرهما.

وهذه الحمارية الإغريقية تعتبر المرأة أكبر منشأً للأزمة والانهيار، وتشبهها بالشجرة المسمومة..
أما الحمارية الصينية، فتصف المرأة بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والماء، وكان بإمكان الرجل دائمًا، ومتى شاء، أن يسلب شخصية زوجته ويبيعها كالجارية، وعندما تترمل المرأة تصبح جزءً من الثروة المتعلقة بعائلة زوجها، ولم يكن لها أي حقٌ في التزوج مرة ثانية، ومع هذا كله كانت كالرقيق ليس لها حقٌ التصرف بنفسها. وكان للزوج حقٌ بدفعها وهي حية! وحتى سنة 1937 كان يوجد في الصين حوالي ثلاثة ملايين جارية!

أما الحمارية الهندية، فتذهب إلى أنَّ المرأة ليست إلا تجسيد للأرواح الخبيثة الشريدة، التي ولدت على هيئة امرأة. وفي نظر البوذيين، أنَّ جميع النساء كال'gcid، وضعن لإغواء الرجال وفتنتهم، وأنَّ هذه القوة تجسدت بأخطر الأشكال في أصل المرأة، بحيث يغوي الرجال، وهذا الإغواء هو الذي يعمي أفكار العالم.

وفي نصوص الديانات الكبرى:

والغريب أنَّ هذه النظرة الدونية للمرأة، لم تكن مقتصرة على الحضارات الجاهلية فحسب، وإنما انسحيبت إلى النصوص الدينية المحرفة، كما حصل للتوراة والإنجيل، فطبقاً للنصوص العبرية، في الكتب الدينية اليهودية، نلاحظ أنَّ المرأة أصبحت ملعونة لعنًاً أبديًاً من قبل الآلهة، لأنهم يقولون: "لقد بدأ الذنب من طرف المرأة، وأنَّ المرأة هي التي توجب موتنا"، (كما لو تمثلت شخصية عزرائيل في جسد المرأة). واعتماداً على هذه العقيدة؛ نرى أنَّ اليهود يعتبرون المرأة مسؤولة عما يفعله الرجل من أعمال لا أخلاقية! ومن هنا نرى أنَّ مقام المرأة في المجتمع اليهودي، قد تنزل تنزلاً بحيث لا يعتبرون لها أي اعتبار و شأن، كما يعتقدون أيضًاً أنَّ المرأة كالحيوان في البيت، وكذلك عندما تبتلى المرأة بمرض من الأمراض النسائية، يجب عليها أن تقع في البيت كالمسجونة لا يسمح لها بلمس أي صحن، أو أي وعاء لكي لا يتنفس!

النصارى يعتمدون - بدورهم - اعتماداً كاملاً على أصل الذنب، ويعتبرون المرأة هي المسؤولة عن الذنب والجريمة. وقد جاء في الكتاب المقدس: "فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت".

وتذهب النظرة المسيحية، إلى أنَّ التي ارتكبت الجريمة في بادئ الأمر هي حواء وسببت سقوط آدم وانهياره، وعلى هذا فإنَّها - بزعمهم - هي المسؤولة عن ذنب البشر، واضطر الإله إلى أن يبعث (ولده)

الفريد باسم عيسى المسيح حتى يُصلب ويغسل ذنوب البشرية بدمه.

ويتضح لكلّ متابع مدى المهانة التي كانت تلحق بالمرأة. إنّها مذنبة، بل وليس من الجنس البشري. وهذا ترثيلين المقدس بوجه خطابه للنساء قائلاً: "هل تعلمون بأنّ كلّ واحدة منهن حواء بالذات!؟.. يستمر لحدّ اليوم توبيخاً لكن ولجنسكن عامّة، وعلى هذا يجب أن يبقى في نسلكن الشر والحقد، أنتن أيتها النساء مدخل للشيطان، أنتن اللواتي قطفتن من ثمار تلك الشجرة الممنوعة، أنتن اللواتي حطمتن القانون الرباني، أنتن اللواتي خدعتن آدم قبل أن يبدأ الشيطان حملاته! أنتن اللواتي أضععن سيماءاً بسهولة كاملة من طبيعة البشر! إنّ شقاء الموت يرجع لعملكن القبيح، وحتى موتك ابن اه يرجع لعملكن الشنيع".

وفيما كان سدنة الكنيسة المسيحية يحتزرون على المرأة احتراماً كاملاً، وينعتونها بأنّها الشيطان.. كانت الكنيسة الأرثوذكسيّة اليونانية تنكر وجود أي روح في جسد المرأة. وقد صرّح أحد القساوسة الكبار ذات مرّة، في مجلس ماكون (Macon) بأنّ: "المرأة لا تتعلق ولا ترتبط بالنوع البشري".

المرأة كانت تعتبر عنصراً قذراً، وهذا العمل أدى بالكنيسة إلى إصدار قرار ممنوعية الزواج الذي هو من القوانين الاجتماعية المهمة.

المصدر: كتاب المرأة المسلمة.. هموم وتحديات